معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الخامسة، العدد السادس، ٢٠١٠

طلال بن مجزع بن عمار العياشي
جهاد محمد فيصل النصيرات

العزم في القرآن الكريم دلالة وورودا

Abstract

This article deals with the concept of "determination" and its semantics in the Quran. It attempts to trace Quranic usage of the term and analyze its context and meaning. In the first part of the paper, discussion is focused on the definition of the term linguistically and as understood by Muslim scholars. This is followed by discussion on its concept and its meanings as contained in the Quran, both in the Meccan and Medinan verses. At the same time, other words bearing similar meanings in the Quran are also analyzed. This ensues a more comprehensive understanding of the concept of "determination" as used in the Quran.

المقدمة

حظي التفسير الموضوعي بالكثير من الدراسات والبحوث والرسائل الجامعية في العصر الحديث، وبالكثير من الإشارات والمقدمات في العصر القديم، وإن من ألوان التفسير الموضوعي : تفسير المصطلح القرآني حيث يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أومشتقاتها من مادتها اللغوية، ثم بعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة آخذة على عاتقها دراسة مصطلح "العزم" في القرآن الكريم حيث قام الباحثان بالرجوع إلى المعاجم التي عنيت بجمع الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد التي ورد فيها مصطلح "العـــزم" ومشتقاته فوجدا أن هنالك عددا من الآيات تناولت مصطلح "العزم" في العهدين المكي والمدني.

فلذلك ورغبة منهما في إثراء هذا الموضوع عزما على دراسة هذا المصطلح في ضوء القرآن الكريم، عنوانه "مصطلح العزم في القرآن الكريم – دلالة وورودا –

أهمية الدراسة :

تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال النقاط الآتية :

١ – تتعلق الدراسة بالتفسير الموضوعي الذي هو روح هذا العصر.

٢ – تتناول الدراسة مفردةً قرآنيةً لها دلالاتها وآثارها على الأمة الإسلامية.

٣ – رفد المكتبة الإسلامية بمثل هذه الموضوعات التي تلقي الضوء على اللفظة القرآنية ودلالاتها المتنوعة.

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي :

١ – إبراز الآيات القرآنية التي وردت فيها مادة "العزم" واشتقاقاتها المختلفة، والأوجه اللغوية لهذه المفردة.

٢ – بيان الاستعمال القرآني لهذه اللفظة على مدى العهدين المكي والمدني.

٣ – إلقاء الضوء على الألفاظ المقاربة لمصطلح "العزم" وبيان علاقتها معه.

- المنهج الاستقرائي الوصفي : حيث قاما بجمع الآيات القرآنية الوارد فيها مصطلح "العزم" ومشتقاته، ومن ثم تصنيفها وتبويبها.

- المنهج التحليلي : حيث قاما بتحليل النصوص القرآنية واستنطاقها من أجل الوقوف على مضامين هذا المصطلح واستعمال القرآن له في العهد المكي والمدني.

هيكل الدراسة :

قام الباحثان بتقسيم البحث إلى مقدمة، ومبحثين ،وخاتمة كالتالي :

مقدمة : وفيها أهمية الدراسة، والأهداف، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

المبحث الأول : تعريف العزم لغة واصطلاحا.

المطلب الأول : تعريف العزم لغة.

المطلب الثاني : تعريف العزم اصطلاحا.

المبحث الثاني : مفردة العزم في القرآن الكريم والألفاظ المقاربة لها.

المطلب الأول : مفردة العزم في القرآن الكريم بين الآيات المكية والمدنية.

المطلب الثاني : الألفاظ المقاربة لها.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان.

المبحث الأول : تعريف العزم لغة واصطلاحا

المطلب الأول : العزم لغة :

يقول ابن فارس عن مادة ع - ز- م : "العين والزاء والميم أصل واحد صحيح يدل على الصريمة والقطع يقال : عزمت أعزم عزما، ويقولون : عزمت عليك إلا فعلت كذا أي جعلته أمرا عزما أي لا مثنوية فيه" [١].

١- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٤ - ص ٣٠٨.

وجاء في لسان العرب : "العزم الجد، عزم على الأَمر يَعزم عَزما ومَعزَما ومَعزِما وعُزما وعَزِيما وعَزِيمة وعَزمة واعتزمه واعتزم عليه أَراد فعله، وقول الكميت :

يرمي بها فيصيب النبل حاجته طورا ويخطئ أَحيانا فيعتزم

قال : يعود في الرمي... والعزم الصبر في لغة هذيل يقولون ما لي عنك عزم أي صبر" [٢].

وجاء في الجمهرة : "وهو مصدر قولهم : عزم – يعزم يقال : عزمت على كذا عَزماً وعُزماً بالضم وعزيمة وعزيما، إذا أردت فعله وقطعت عليه، فالعزم : ماعقدت عليه القلب من أمر أنت فاعله.

ويقال : ما لفلان عزيمة والعرب تقول: ما له مَعزِم ولا مَعزَم ولا عَزِيمة ولا عَزم ولا عُزمان أي لا ثبت على أمر يعزم عليه ، ورجل ماضي العزيم : مجد في أموره.

وقولهم : عزمت عليك لتفعلن أي : أقسمت عليك، وعزم الراقي كأنه أقسم على الداء، وكذلك عزم الحواء، إذا استخرج الحية كأنه يقسم عليها. وعزائم السجود ما عزم على قارئ آيات السجود أن يسجد لله فيها.

وأولوا العزم من الرسل : هم الذين عزموا على أمر الله فيما عهد إليهم" [٣].

وقوله – صلى الله عليه وسلم – : "خير الأمور عوازمها" [٤]. أي : فرائضها التي عزم الله عليك بفعلها، والمعنى ذوات عزمها التي فيها عزم، وقيل : هي ما وكدت رأيك وعزمك عليه ووفيت بعهد الله فيه [٥]. وقال صاحب النهاية في غريب بعد ما ذكر هذا الحديث : "والعزم : الجد والصبر" [٦].

---

٢ – ابن منظور، لسان العرب، ج٨ ص٢٩٢.

٣ – انظر : ابن دريد، جمهرة اللغة، ج٢ – ص٨١٧، والأزهري، تهذيب اللغة، ج٢ – ص٩٠.

٤ – رواه البيهقي في دلائل النبوة، كتاب جماع أبواب مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وبسراياه، باب ما روي في خطبته صلى الله عليه وسلم بتبوك رقم الحديث ١٩٩٤، وضعفه الألباني انظر : السلسة الضعيفة ج٥ ص٥٨.

٥ – انظر : الزمخشري، الفائق، ج٢ ص ٤٢٥، وابن منظور، لسان العرب، ج٨ ص٢٩٣.

٦ – ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، ص٦١٣.

وقوله – صلى الله عليه وسلم – : "ليعزم المسألة" [٧]. أي يجد فيها ويقطعها [٨].

وقوله – صلى الله عليه وسلم – لأبي بكر : متى توتر؟ فقال : أول الليل. وقال لعمر : متى توتر؟ فقال : من آخر الليل. فقال لأبي بكر : أخذت بالحزم. وقال لعمر : أخذت بالعزم" [٩].

أراد أن أبا بكر حذر فوات الوتر بالنوم فاحتاط وقدمه وأن عمر وثق بالقوة على قيام الليل فأخره [١٠].

وقوله – صلى الله عليه وسلم – : "الزكاة عزمة من عزمات اللّه تعالى" [١١] : حق من حقوقه وواجب من واجباته [١٢].

وقوله – صلى الله عليه وسلم – : "إن اللّه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه" [١٣]. واحدها : عزيمة وهي فرائضه التي أوجبها وأمرنا بها [١٤].

---

٧ – رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له،رقم الحديث ٦٣٣٨ ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء ولايقل إن شئت رقم الحديث ٦٨١١.

٨ – انظر : ابن منظور، لسان العرب،ج٨ ص٢٩٣، وابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، ص ٦١٣.

٩ – رواه أبو داوود، كتاب الصلاة، باب الوتر قبل النوم رقم الحديث ١٤٣٤، وصححه الألباني انظر : صحيح أبي داوود، ج٥ ص١٧٨.

١٠ – انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٨ ص٢٩٣، وابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، ص٦١٣.

١١ – رواه أحمد في المسند رقم الحديث ١٩١٦٥والنسائي، كتاب الزكاة، باب عقوبة مانع الزكاة رقم الحديث ٢٤٠١ وأبو داوود، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة رقم الحديث ١٣٤٤ وحسنه الألباني انظر: إرواء الغليل ج٣ ص٢٦٤.

١٢ – انظر : ابن الأثير، النهاية في غريب الاثر، ص٦١٣.

١٣ – رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم الحديث ٢٥٨١، وابن حبان في صحيحه، كتاب الصيام، باب ذكر الإخبار عما يستحب للمرء من قبول مارخص له رقم الحديث ٣٥٤ ،وصححه الألباني انظر: صحيح الترغيب والترهيب ج١ ص٢٥٦.

١٤ – انظر : الأزهري، تهذيب اللغة، ج٢ ص٩١، وابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، ص٦١٣، وابن منظور، لسان العرب ج٨ ص٢٩٣.

خلاصة القول أن لفظة العزم في اللغة لها عدة أوجه منها :

- القطع.
- الحزم.
- الصبر.
- الجد.

و هذه المعاني لا تخرج عن معنى الإصرار على الأمر الذي هو معنى العزم فقطع الأمر، والصبر عليه، والحزم في تنفيذه، وتحقيقه، والجد فيه هي معاني للعزم.

المطلب الثاني : تعريف العزم اصطلاحا :

دارت عبارات العلماء في معنى العزم على عقد القلب على الشيء والإمضاء فيه، والحزم والتصميم على فعله يقول الجرجاني – رحمه الله – : "العزم : جزم الإرادة بغير تردد" [١٥]. ويقول المناوي – رحمه الله – : "العزم عقد القلب على إمضاء الأمر" [١٦].

ويقول الراغب الأصفهاني – رحمه الله – : "العزم والعزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر، يقال عزمت الأمر وعزمت عليه واعتزمت" [١٧]. وإلى مثل هذا أشار الزمخشري وأبو حيان وابن عاشور [١٨]. يقول الشيخ محيي الدين زاده : "عزمت على كذا عزما وعزيمة إذا أردت فعله إرادة صادقة وقصدا مصمما" [١٩].

ويقول السعدي – رحمه الله – : "العزم هو قوة الإرادة وجزمها على الاستمرار

---

١٥ – الجرجاني، التعريفات، ص٣٠.

١٦ – المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص٥١٣، وانظر : زكريا الأنصاري، الحدود الأنيقة، ص ٧١، والكفوي، الكليات، ص٩٦١.

١٧ – الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٣٤.

١٨ – انظر : الزمخشري، الكشاف، ج٣ص٩١، وأبو حيان، البحر المحيط، ج٢ص١٨٦، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤ص١٥١.

١٩ – زاده، حاشية محيي الدين، ج٣ ص٢٢٨.

على أمر الله، والهمة التي لا تني ولا تفتر في طلب رضوان الله، وتوطين النفس على عدم التقصير في شيء من حقوق الله" [٢٠].

ومن التعريفات الحديثة للعزم ما ذكر الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني – رحمه الله – حيث يقول : "والعزم : هو اتجاه نفسي جازم ذو نسبة عالية في القدرة على التصدي للعقبات والصعوبات، ومقارعتها ومغالبتها" [٢١]. ويرى الميداني أن للعزم درجات متفاوتة حيث يقول : "وللعزم درجات كثيرة وقد يصل العزم في درجاته العليا إلى تنفيذ الأمر، وأولوا العزم يتفاوتون فيما بينهم [٢٢].

ورغم الجدّة في تعريف العزم من قبل الشيخ الميداني – رحمه الله – إلا أننا لا نتفق معه في عبارته التي يقول فيها : "وقد يصل العزم في درجاته العليا إلى تنفيذ الأمر" التي توحي باحتمال وصول العزم إلى مرحلة التنفيذ، إذ المقرر كما هو عند أهل اللغة أن مرحلة العزم تقطع بوصول العزم إلى مرحلة التنفيذ أما إذا كانت لا تقطع فليست بمرحلة عزم.

وبما أن العزم اتجاه نفسي فلابد من الرجوع إلى المتخصصين في علم النفس في بيان هذا المصطلح، وهم يعبرون عن العزم بالدافع ويعرف الدافع عندهم بأنه : مثير داخلي يحرك سلوك الفرد ويوجهه للوصول إلى هدف معين، ويعرف أيضا بـــ : القوة التي تدفع الفرد لأن يقوم بسلوك من أجل إشباع وتحقيق حاجة أو هدف [٢٣].

ومن خلال ما مر نجد توافقا – في المعنى – بين تعريف أهل علم النفس وبين كلام العلماء حول العزم، فكلها تفيد أن العزم من الأعمال القلبية التي يتبعها وجود الفعل.

---

٢٠ – السعدي، المواهب الربانية، ص١٠٩.

٢١ – الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها ج١ – ص١١٣.

٢٢ – المصدر نفسه، ج١ ص١١٤.

٢٣ – انظر : قطامي، علم النفس العام، ص٣٢.

فنقول العزم : "هو رغبة قلبية في الإرادة من شأنها الأخذ بالإنسان المسلم إلى تحقيق ما يصبو إليه من أفعال الخير رغم المشاق التي تعترضه". والله أعلم.

المبحث الثاني :مفردة العزم في القرآن الكريم

المطلب الأول : في بيان مفردة العزم في القرآن الكريم بين الآيات المكية والمدنية :

مادة "عزم" وردت في تسع آيات في القرآن الكريم، أربع منها في سور مكية، وخمس في سور مدنية، وبعد التأمل في تلك الآيات نجد أن للعهدين المكي والمدني أثرا في استعمال القرآن لمصطلح العزم.

فالآيات المكية هي كما يلي :

الآية الأولى : قوله تعالى في سورة طه المكية :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ طه : ١١٥. جاء سياق هذه الآية في نهي النبي – صلى الله عليه وسلم – عن العجلة في أخذ القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه : ١١٣ – ١١٤. وبين ابن عطية – رحمه الله – سبب مجيء هذه الآية بعد آيات الثناء على القرآن وتوجيه لنبيه بعدم العجلة حيث يقول : "إما أن يكون ابتداء قصص لا تعلق له بما قبله ،وإما أن يجعل تعلقه أنه لما عهد إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – أن لا يعجل بالقرآن مثل له بنبي قبله عهد إليه {فَنَسِيَ} فعوقب لتكون أشد في التحذير وأبلغ في العهد إلى محمد صلى الله عليه وسلم" [٢٤]. والظاهر الذي يدل عليه السياق هو الإحتمال الثاني فالله ـسبحانه وتعالى ـ لما نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن العجلة التي هي منافية للعزم جاء بمثال ظهرت فيه العجلة يقول الآلوسي – رحمه الله

---

٢٤ – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٤ ص٦٦.

- : "كأنه لما مدح سبحانه القرآن ، وحرض على استعمال التؤدة والرفق في أخذه وعهد على العزيمة بأمره وترك النسيان فيه ضرب حديث آدم مثلا للنسيان وترك العزيمة" [٢٥].

فمجيء مصطلح العزم هنا كان في سياق التوجيه للنبي - صلى الله عليه وسلم - بعدم العجلة المنافية للعزم.

الآية الثانية : قوله تعالى في سورة لقمان المكية : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ لقمان : ١٧.

هذه الآية حملت وصايا من مجمل وصايا لقمان الحكيم لابنه وهنا لقمان يحث ابنه على أصول العبادات التي تجتمع فيها الشرائع كلها فالصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على المصائب مما هو متفق عند جميع الشرائع.

يقول ابن عاشور — رحمه الله — في هذه الآية : "انتقل من تعليمه أصول العقيدة إلى تعليمه أصول الأعمال الصالحة فابتدأها بإقامة الصلاة، والصلاة التوجه إلى الله بالخضوع والتسبيح والدعاء في أوقات معينة في الشريعة التي يدين بها لقمان، والصلاة عماد الأعمال لاشتمالها على الاعتراف بطاعة الله وطلب الاهتداء للعمل الصالح، وإقامة الصلاة إدامتها والمحافظة على أدائها في أوقاتها، وشمل الأمر بالمعروف الإتيان بالأعمال الصالحة كلها على وجه الإجمال ليتطلب بيانه في تضاعيف وصايا أبيه كما شمل النهي عن المنكر اجتناب الأعمال السيئة كذلك ...فهذه كلمة جامعة من الحكمة والتقوى، إذ جمع لابنه الإرشاد إلى فعل الخير وبثه في الناس، والكف عن الشر، وزجر الناس عن ارتكابه، ثم أعقب ذلك بأن أمره بالصبر على ما يصيبه" [٢٦].

---

٢٥ - الآلوسي، روح المعاني، ج١٦ ص٢٦٩.

٢٦ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١ ص١٦٤.

ويأتي مصطلح العزم هنا في ذكر أهم المجالات التي تتطلب العزم والجد.

الآية الثالثة قوله تعالى في سورة الشورى المكية :

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ الشورى : ٤٣.

وهنا يأتي مصطلح العزم في أمر مشابه للآية التي قبله حيث بين سبحانه أن من مجالات العزم -كما في هذه الآية - الصبر، والعفو عن المخطئ، يقول البقاعي - رحمه الله - : "﴿ وَلَمَن صَبَرَ ﴾ عن الانتصار من غير انتقام ولا شكوى ﴿ وَغَفَرَ ﴾ فصرح بإسقاط العقاب والعتاب فمحا عين الذنب وأثره : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ أي : ذلك الفعل الواقع منه البالغ في العلو جدا لا يوصف ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾" [٢٧].

الآية الرابعة : قوله تعالى في آخر آية من سورة الأحقاف المكية :

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الأحقاف : ٣٥.

وإن كان بعضهم استثنى هذه الآية وجعلها من الآيات المدنية، دون أن يذكروا دليلاً على ذلك، وربما حملهم على قولهم هذا أنّ الآية ذكرت الهلاك الذي يقع بهم، وهذا لم يكن إلا بالمدينة المنورة، و هذا الاستثناء لا يلتفت إليه لعدم الدليل [٢٨].

يحث الله سبحانه نبيه - صلى الله عليه وسلم - في هذه الآية على الصبر وأن يقتدي بأولي العزم والثبات والجد من الرسل الذين يتصفون بالصبر على مشاق الدعوة، وبعدم الاستعجال على جني ثمارها، كما أن فيها من التسلية للنبي - صلى الله عليه وسلم - بتذكيره صبر أولي العزم.

نجد أن هذه الآيات الأربع التي ورد فيه مصطلح العزم تتوافق في جوها مع الوضع الذي نزلت فيه فلما كان العهد المكي زمن محنة وضعف للمسلمين، ووصل

---

٢٧ - البقاعي، نظم الدرر، ج٦ ص٦٤٢.

٢٨ - انظر : السيوطي، الإتقان، ج١ص٤٥، وفضل عباس، إتقان البرهان، ج١ص٣٩٤.

الكفار إلى ذروة العنف وخاصة في معاملة المستضعفين من المسلمين، حيث نكلوا بهم ليفتنوهم عن دينهم.

فلأجل هذه الأسباب جاء استعمال مصطلح العزم في الآيات المكية التي تحث على الصبر والعفو والتسامح، وتسلية النبي - صلى الله عليه وسلم - بما حصل لإخوانه أولي العزم من الرسل.

ففي الآية الأولى كان الحديث عن عدم صبر آدم في قصة أكل الشجرة وبين سبحانه آثار عدم الصبر على آدم وبنيه، وفي الآية الثانية جاء التوجيه الإلهي إلى أمور يكون الإنسان المسلم في ذاك الزمن باستطاعته القيام بها من إقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب استطاعته وفي ختامها حث على الصبر لأن تلك الأمور بحاجة إلى صبر، وفي الآية الثالثة حث على الصبر والتسامح في التعامل مع الناس، وفي آية الأحقاف تسلية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأمر له بالصبر كما صبر إخوانه أولي العزم من الرسل.

فنلاحظ هنا أن الآيات المكية التي وردت فيها لفظة العزم تدور حول الصبر والجدّ لأنه هو المطلوب فعله من النبي - صلى الله عليه وسلم — ومن المؤمنين في ذلك العهد، فهذه الفترة كانت كلها مخصصة لبذر العقيدة الصحيحة فى النفوس، وتهيئة هذه النفوس لمقتضيات هذه العقيدة، التى كان مقدرا فى علم الله أن تسبق الشرائع وأن تؤسس لها، وإنّ الصبر على العقيدة يحتاج الى تضحيات كبيرة، واحتمال لصنوف متنوعة من الإيذاء النفسي والمعنوي الذي يقتضي هذا العزم بمجالاته ومقوماته المختلفه.

وأما الآيات المدنية :

الآية الأولى : قوله تعالى في سورة البقرة المدنية :

﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة : ٢٢٧. جاءت هذه الآية في سياق ذكر الإيلاء وما يترتب عليه من أحكام حيث يقول سبحانه :

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وفيها يقول ابن جرير الطبري – رحمه الله – : "قال بعضهم : معنى ذلك : للذين يؤلون أن يعتزلوا من نسائهم تربص أربعة أشهر، فإن فاؤوا فرجعوا إلى ما أوجب الله لهن من العشرة بالمعروف في الأشهر الأربعة التي جعل الله لهم تربصهم عنهن وعن جماعهن، وعشرتهن في ذلك بالواجب "فإن الله لهم غفور رحيم". وإن تركوا الفيء إليهن، في الأشهر الأربعة التي جعل الله لهم التربص فيهن حتى ينقضين، طلق منهم نساؤهم اللاتي آلوا منهن بمضيهن، ومضيهن عند قائلي ذلك : هو الدلالة على عزم المولي على طلاق امرأته التي آلى منها" [٢٩].

والآية الثانية : قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ البقرة : ٢٣٥.

وفي هذه الآية نهى الله سبحانه عن تحقيق العزم في عقد النكاح على المتوفى عنها زوجها قبل انقضاء عدتها وورود لفظ العزم هنا للمبالغة في النهي يقول الزمخشري : "وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح في العدة، لأن العزم على الفعل يتقدمه، فإذا نهي عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه : ولا تعزموا عقد عقدة النكاح". [٣٠]

والنهي هنا دال على كراهية الله سبحانه لهذا النوع من العزم الذي هو انعقاد القلوب على إجراء الطلاق كما ظهر في الآية الكريمة.

---

٢٩ – الطبري، جامع البيان، ج٤ ص٦٤. مع العلم بأن ما أدلى به الطبري من وقوع الطلاق بمجرد مضي مدة الإيلاء هو محل خلاف بين العلماء وليس هنا مقام بسطه، راجع أحكام القرآن لابن العربي المالكي، ج١ ص٢٤٧.

٣٠ – الزمخشري، الكشاف، ج١ ص٣١٢.

والآية الثالثة : قوله تعالى في سورة آل عمران المدنية :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران : ١٥٩.

هذه الآية من جملة الآيات التي ذكرها الله بعد معركة أحد التي انهزم فيها المسلمون، وقد تضمنت توجيهات ربانية للمسلمين ليقفوا عندها ويصححوا المسار، ومن هذه التوجيهات النهي عن أكل الربا وهو نهي عن جريمة الربا متضمن النهي عن محبة الدنيا والإقبال عليها، ومن التوجيهات الحض على الإنفاق في السراء والضراء، والأمر بطاعة الله ورسوله ... إلى أن عرج على مبدأ الشورى حيث أمر الله سبحانه نبيه – صلى الله عليه وسلم– بالعفو عن الصحابة والاستغفار لهم ومشاورتهم في أمور الحرب، وأمره إذا عزم على القتال بعد اتخاذ الرأي بالتوكل عليه سبحانه وتفويض الأمر إليه، وكل هذه التوجيهات له صلة قوية في مبدان المعركة يقول سيد قطب – رحمه الله – : "فهذه التوجيهات الشاملة ليست بمعزل عن المعركة فالنفس لا تنتصر في المعركة الحربية إلا حين تنتصر في المعارك الشعورية والأخلاقية والنظامية... والقرآن يعالج الجماعة المسلمة، على إثر معركة لم تكن معركة في ميدان القتال وحده، إنما كانت معركة في الميدان الأكبر، ميدان النفس البشرية، وميدان الحياة الواقعية" [٣١].

والآية الرابعة : قوله تعالى في سورة آل عمران :

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ آل عمران : ١٨٦.

---

٣١ – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١ ص٤٥٢ – ٤٥٣.

جاءت هذه الآية – أيضا – في سياق غزوة أحد وهي تسلية لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره إثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا أنفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات، فكأن هذه الآية جاءت ممهدة لما سيحصل للمسلمين في المستقبل من أذى من الكفار ومن أهل الكتاب يقول محمد رشيد رضا — رحمه الله – : "... فإذا تذكرنا أن هذه الآية نزلت بعد غزوة بدر الآخرة التي سبق ما ورد فيها من الآيات بعد الكلام في غزوة أحد، وغزوة حمراء الأسد – وتذكرنا أن ذلك كان في شعبان من سنة أربع، وتذكرنا ما كان في سنة خمس من حديث الإفك، وقذف عائشة الصديقة – برأها الله تعالى – ومن تألب اليهود، ونقض عهودهم، ومحاولتهم قتل النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى أجلاهم، وأمن شر مجاورتهم إياه بالمدينة، ومن تألبهم مع المشركين وجمع الأحزاب من الفريقين، وزحفهم على المدينة لأجل استئصال المسلمين، وما كان في ذلك من البلاء الشديد، والجوع الديقوع، والحصار الضيق ...إذا تذكرنا هذا كله علمنا أن الآية تمهيد له، وإعداد للمسلمين لتلقيه لعل وقعه يخف عليهم ; ولذلك قال : وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور يعني إن تصبروا على البلاء الكبير الذي سيحل بكم في أموالكم وأنفسكم وعلى ما تسمعون من أهل الكتاب والمشركين من الأذى، وتتقوا ما يجب اتقاؤه في الاستعداد لذلك قبل نزوله، ومكافحته عند وقوعه، فإن ذلك الصبر والتقوى من معزومات الأمور" [٣٢]. فأخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال، ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها.

وفي هذه الآية وصف الله الصبر والتقوى أنهما من عزائم الأمور وقد مر معنا هذا الوصف في قوله تعالى ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ الشورى : ٤٣.

---

٣٢ – رشيد رضا، المنار، ج٤ ص٢٢٦.

وفي قوله تعالى ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ لقمان : ١٧.

لفظ "عزم" في هذه الآيات جاء مصدر مضاف وهو على المفعولية يقول ابن عاشور – رحمه الله – في هذه الإضافة أنها : "من إضافة الصفة إلى الموصوف أي الأمور العزم، ووصف الأمور وهو جمع بعزم وهو مفرد لأن أصل عزم أنه مصدر فيلزم لفظه حالة واحدة، وهو هنا مصدر بمعنى المفعول، أي من الأمور المعزوم عليها" [٣٣].

وعامة المفسرين على أن المقصود بعزم الأمور إما أن يكون :

- مما يجب على العبد العزم عليه من الأمور.[٣٤]

- أو مما عزم الله تعالى عليه وأمر به فهو عزمة من عزمات الله.[٣٥]

وعندنا أنه لا تعارض بين القولين حيث أن العزم من جهة العبد هو تنفيذ الأمر ومن جهة الله هو الأمر نفسه يقول محيي الدين الشيخ زاده – رحمه الله – في تفسير ﴿عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ : "العازم أما أن يكون هو العبد أي : من الأمور التي يجب على العبد عزمها، وإما أن يكون هو الله أي : من الأمور التي عزم الله عليها أي : فرضها علينا وبالغ في إيجابها" [٣٦].

الآية الخامسة : قوله تعالى في سورة محمد المدنية :

﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾ محمد : ٢١.

هذه الآية متعلقة بما قبلها التي بين الله تعالى فيها أنه إذا أنزلت سورة يذكر فيه القتال والجهاد فزع المنافقون وجبنوا من لقاء العدو يقول تعالى :

﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۙ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ ثم قال تعالى مبينا الحال الذي يجب

---

٣٣ – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣ ص٣٧٣.

٣٤ – انظر : الزمخشري، الكشاف، ج١ ص ٤٧٨، والبقاعي، نظم الدرر، ج٤ ص١٥١.

٣٥ – انظر:الطبري، جامع البيان، ج ٧ ص٤٥٥، والكشاف، ج١ ص٤٧٨، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٢ ص١٢، ورشيد رضا، المنار، ج٤ ص٢٢٧.

٣٦ – زاده، حاشية محيي الدين، ج ٣ ص٢٢٩.

أن يكونوا عليه من الطاعة والإمتثال لأمر الله والصدق معه سبحانه عند الأمر بالقتال والجهاد ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ والأمر هنا القتال "والعزم والجد لأصحاب الأمر، وإنما يسندان إلى الأمر إسنادا مجازيا" [٣٧].

والذي يقصده شيخ مدرسة البيان هنا أنّ إسناد العزم إلى غير فاعله إنما هو على سبيل المجاز الحكمي أو العقلي، فأسند العزم إلى الأمر والمراد أهله. والذي يعنينا هنا ورود مصطلح العزم في سياق الأمر بالقتال الذي هو من جملة التشريعات التي شرعت في العهد المدني.

جاء ذكر العزم في الآيات المدنية أي العهد الذي شهد استقراراً للمجتمع الإسلامي في المدينة حيث أرسيت قواعده وشيد بنيانه وأنزلت شرائع الإسلام وقامت الدولة الإسلامية فنلاحظ أن استعمال مصطلح العزم في العهد المدني جاء في سياق تقرير أمور تشريعية ففي سورة البقرة آيتان تتعلقان بالحياة الزوجية وتنظيم أمور الأسرة حيث تعرضتا لذكر أحكام العزم في الإيلاء، والطلاق، وخطبة المتوفى عنها زوجها.

أما الآيتان في سورة آل عمران فكان الحديث في الآية الأولى منها عن تعامل النبي – صلى الله عليه وسلم – مع أصحابه، ومشاورتهم في أمور الحرب ثم أمره عند العزم بعدم التردد في المضي فيما عزم عليه.

وفي الآية الثانية من السورة نفسها حث المؤمنين على الصبر على البلاء والأذى من المشركين وأهل الكتاب وكذلك الصبر على البلاء في الأموال والأنفس، وقد يتبادر إلى الذهن أن هذه الآية تحث على الصبر كما هو حال الآيات المكية السابقة وأن هذا قد يبطل التباين في إستعمال مصطلح العزم في العهد المكي والمدني ولكن نقول : إن استعمال مصطلح العزم في هذه الآية جاء لبيان نكتة وهي : أن صفة الصبر يجب ألا تنفك عن الداعية إلى الله في كل أحواله وأزمانه فكما أنه – صلى الله عليه وسلم – لاقى

---

٣٧ – انظر :الزمخشري، الكشاف، ج٤ ص ٣٢٧.

من الأذى في العهد المكي فكذلك سيلاقي في العهد المدني ما يحتاج معه إلى صبر لا سيما وأن بجواره أهل الكتاب الذين ملأ الحسد قلوبهم على النبي – صلى الله عليه وسلم – والمسلمين.

وأما آية سورة محمد ففيها حث المنافقين على الصدق مع الله في الجهاد في سبيله إذا جد أمر القتال فهي أيضا جاءت في سياق تشريعي.

ومن خلال هذا العرض للآيات المكية والمدنية التي تناولت مصطلح العزم يتبين أن للعهدين : المكي والمدني أثراً في الاستعمال القرآني لمصطلح العزم حيث جاء استعماله في جو يلائم كلا من العهدين ,وإذا كان الأسلوب تبعاً للموضوع الذي يساق الكلام من أجله، فإنّ القرآن الكريم قد عودنا أنّ الموضوعات التي يعرض لها تناسب المراحل التي تحياها الدعوة، فالعهد المكي كان بمثابة التأسيس والتأصيل لقيام الدولة بعد ذلك، فقد كان المسلمون بمكة أمّة الدعوة، وبعد ذلك في المدينة أصبح للدعوة دولة تقوم على حمايتها ونشره، ولذلك جاءت مفردة العزم في عهد التأسيس متناغمةً مع سياقاتها ومع سباقاتها، من خلال الحث على الصبر والجدّ والثبات في الأمر، ثمّ جاءت الآيات المدنية بعد ذلك لتستعمل هذه اللفظة في سياقات الأحكام المختلفة من زواج وطلاق وأمور الجهاد، وهي نماذج منتلك الحالات التي واجهتها الدعوة بعد أن أصبح لها كيان مستقل.

المطلب الثاني : في بيان الألفاظ المقاربة لمعنى العزم

تقدم في المطلب الأول من المبحث الأول أن معاني مفردة "العزم" تدور حول القطع، والتحقيق والحزم والصبر والجد، ولذلك فإن المفردات القربية من هذه المعاني كثيرة جدا في القرآن الكريم وسأقف في هذا المطلب مع بعض هذه الألفاظ القريبة فمنها:

أولا : القوة

يقول صاحب لسان العرب : "القوة نقيض الضعف والجمع قُوى وقِوى وقوله عز وجل : ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ ﴾ مريم : ١٢ أَي بجد وعون من الله تعالى" [٣٨]. وأفاد الزبيدي أن القوة تكون في أمرين في البدن وفي القلب [٣٩].

وقد وردت لفظة القوة ومشتقاتها في القرآن الكريم في اثنين وثلاثين موضعا، يقول العلامة الراغب الأصفهاني - رحمه الله — عند حديثه عن الاستعمال القرآني للفظ القوة : "يستعمل ذلك في البدن تارة، وفي القلب أخرى، وفي المعاون من خارج تارة، وفي القدرة الإلهية تارة، ففي البدن نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ فصلت : ١٥، ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ الكهف : ٩٥، فالقوة ههنا قوة البدن، وفي القلب نحو قوله تعالى : ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ ﴾ مريم : ١٢ أي : بقوة قلب، وفي المعاون من خارج نحو قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً ﴾ هود : ٨٠، قيل معناه : ما أتقوى به من الجند، وماأتقوى به من المال، وفي القدرة الإلهية نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ المجادلة : ٢١ ونحو قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ الأحزاب : ٢٥" [٤٠].

والعزم هو المقصود من الرغبة القلبية التي أشار إليها أهل اللغة والراغب الأصفهاني في المفردات، وهي محل بحثنا هنا وقد استعملها القرآن الكريم بهذا المعنى في خمسة مواضع ثلاثة منها في شأن بني اسرائيل وموضعين في نبي الله موسى - عليه السلام - ونبي الله يحيى - عليه السلام - جاء لفظ القوة في قصة رفع جبل الطور على بني اسرائيل في ثلاثة مواضع كما في قوله تعالى :

---

٣٨ - ابن منظور، لسان العرب، ج١٥ص٢٠٧.

٣٩ - انظر : الزبيدي، تاج العروس، ج١ ص٥٦٢.

٤٠ - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٦٩٤ بتصرف يسير.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة : ٦٣.

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ البقرة : ٩٣.

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأعراف : ١٧١.

يقول المفسرون في تفسير تلك الآيات أنها تذكير لبني اسرائيل لجناية من جنايات أسلافهم وهي أن الله سبحانه قد أخذ منهم الميثاق بالمحافظة على مافي التوراة، وقد رفع فوقهم جبل الطور حتى صار عليهم كالظلة - سقيفة وهي كل ما أظلك - وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله عليهم الطور وأمرهم أن يأخذوا بأحكام التوراة بجد وعزم [٤١].

ووردت لفظة القوة بمعنى العزم عندما أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يأخذ الألواح التي كتبت له بجد وعزيمة ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ الأعراف : ١٤٥ يقول ابن عاشور - رحمه الله - : "تمثيل لحالة العزم على العمل بما في الألواح، بمنتهى الجد والحرص دون تأخير ولا تساهل ولا انقطاع عند المشقة ولا ملل، بحالة القوي الذي لا يستعصي عليه عمل يريده" [٤٢].

وكذلك أمر الله نبيه يحيى أن يأخذ بالكتاب بعزم وعامة المفسرين على أن المراد بالكتاب : التوراة [٤٣]. في قوله تعالى :

---

٤١ - انظر: الطبري، جامع البيان، ج١ ص٣٨٤، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج١ ص١٣٣.

٤٢ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٥ ص١٦٨.

٤٣ - انظر : الطبري، جامع البيان، ج١٦ ص٥٤.

﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ مريم : ١٢ يقول الشنقيطي – رحمه الله – في تفسير هذه الآية" : يعمل به من جميع الجهات، فيعتقد عقائده، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويتأدب بآدابه، ويتعظ بمواعظه، إلى غير ذلك من جهات العمل به" [٤٤].

إذن من خلال معرفة معنى القوة في اللغة وأنها إذا كانت في القلب تعني العزم ومن خلال استعمال القرآن لفظ القوة بمعنى الجد نجد توافقا بين لفظ القوة والعزم في أكثر من جانب.

ثانيا : الصبر

والصبر عند أهل اللغة يدور على معنى الحبس يقول ابن فارس : "الصاد والباء والراء أصول ثلاثة، الأول : الحبس ..." [٤٥] ويقول ابن منظور : "وأصل الصبر الحبس" [٤٦].

وقد وردت لفظة الصبر ومشتقاتها في القرآن الكريم في أكثر من تسعين موضعا وذكر الدامغاني أن للصبر في القرآن خمسة أوجه : الصوم، والجرأة، والإصرار، والرضا، والصبر نفسه [٤٧]. والحقيقة أن هذه الوجوه الخمسة قائمة على معنى حبس النفس على مايرضي الله عز وجل.

وجعل الراغب الأصفهاني الصبر لفظا عاما تحته أنواع منها الصوم، والجرأة، والحبس، والتحمل، والانتظار [٤٨]. وبذلك يكون الراغب قد أفاد فيما ذكره الدامغاني ثم جعل هذه الوجوه تنضوي تحت النوع العام.

---

٤٤ – الشنقيطي، أضواء البيان، ج٣ ص ٣٧٨.

٤٥ – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣ ص٢٥٣.

٤٦ – ابن منظور، لسان العرب، ج٤ ص٤٣٨.

٤٧ – انظر : الدامغاني، إصلاح الوجوه والنظائر، ص٢٧٣.

٤٨ – انظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٤٧٤.

والعلاقة بين العزم والصبر ظاهرة في السياق اللغوي والقرآني فمن معاني الصبر الإصرار الذي هو من معاني العزم ولوفرة الآيات التي تعرضت لموضوع الصبر فإننا نكتفي منها بما أشرنا إليه آنفا.

ثالثا : الإصرار

جاء في تهذيب اللغة في معنى الإصرار : "عن أبي الهيثم قال : أصري أي اعزمي، وكأنه يخاطب نفسه، من قولك : أصر على فعله يصر إصرارا : إذا عزم على أن يمضي فيه ولا يرجع" [٤٩].

وإن استعمال القرآن لهذا اللفظ جاء مقرونا بما هو مذموم من الأفعال يقول ابن عطية – رحمه الله – : "فالإصرار اعتزام البقاء على الذنب ... واختلفت عبارة المفسرين في الإصرار، فقال قتادة : هو الذي يمضي قدما في الذنب لا تنهاه مخافة الله، وقال الحسن إتيان العبد الذنب هو الإصرار حتى يتوب" [٥٠]. وورد لفظ الإصرار في القرآن في أربعة مواضع :

الموضع الأول : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ آل عمران : ١٣٥.

جاءت هذه الآية في سياق وصف المتقين وهنا ذكر الله من أوصافهم أنهم إذا صدر منهم أعمال سيئة كبيرة أو صغيرة بادروا إلى الله بالتوبة والاستغفار ولم يعزموا على العودة لما صدر منهم، يقول ابن عاشور – رحمه الله – في التحرير والتنوير : "وقوله : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ ﴾ إشارة إلى الفعل وهو الإقلاع ونفي العزم على العودة" [٥١].

---

٤٩ – الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٢ ص ٧٦.

٥٠ – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج١ ص٥١١.

٥١ – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤ ص٩٤.

الموضع الثاني : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الجاثية : ٧ – ٨ جاءت هذه الآية في سياق ذم من يسمع القرآن ثم يصر ويعزم على ثباته على الكفر يقول الآلوسي – رحمه الله – : "والإصرار على الشيء ملازمته وعدم الانفكاك عنه... والمراد هنا : ثم يقيم على كفره وضلاله ﴿ مُسْتَكْبِرًا ﴾ عن الإيمان بالآيات" [٥٢].

الموضع الثالث : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝٤٥ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الواقعة : ٤٥ – ٤٦. لما ذكر الله في مطلع سورة الواقعة انقسام الناس إلى ثلاث فرق بحسب أعمالهم الحسنة والسيئة :

- السابقون.
- أصحاب اليمين.
- أصحاب الشمال.

وصف سبحانه أحوالهم في الآخرة من نعيم وعذاب، وجاءت هذه الآيات في سبب ما آل إليه حال الكفار وهو إصرارهم وعزمهم على الذنب العظيم سواء كان الشرك أو مادونه من الكبائر يقول البقاعي – رحمه الله – : "{ يُصِرُّونَ} أي يقيمون ويدومون على سبيل التجديد" [٥٣].

الموضع الرابع : ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ نوح : ٧.

وأما هذه الآية فقد نزلت في ذكر قوم نوح وإعراضهم عن دعوة نبي الله نوح عليه السلام فذكر الله على لسان نوح أنهم عزموا على عدم سماعه واستكبروا ووصف الحق سبحانه طريقة استكبارهم يقول ابن عاشور – رحمه الله – : "وفي ذلك تعريض

---

٥٢ – الآلوسي، روح المعاني، ج٢٥ ص١٤٣.

٥٣ – البقاعي، نظم الدرر، ج٢ ص ١٤٨.

بتحميقهم وتعجب من خلقهم إذ يعرضون عن الدعوة لما فيه نفعهم فكان مقتضى الرشاد أن يسمعوها ويتدبروها، والإصرار : تحقيق العزم على فعل" [٥٤].

إذن فالعلاقة جلية بين الإصرار والعزم إذ إن الإصرار من معاني العزم كما تقدم بيان ذلك في المعنى اللغوي للعزم.

رابعا : الهم

يقول صاحب تهذيب اللغة : "قال الليث : الهم ما هممت به من أمر في نفسك. تقول أهمنى الأمر والمهمات من الأمور الشدائد. قال : والهم الحزن والهمة ما هممت به من أمر لتفعله وتقول : إنه لعظيم الهمة، وإنه لصغير الهمة" [٥٥].

وجاء في لسان العرب : "وهم بالشيء يهم هما نواه وأراده وعزم عليه" [٥٦].

والذي يظهر لي من خلال البحث في معنى الهم في اللغة أن أهل اللغة لا يفرقون بين مرحلة الهم والعزم فيجعلونهما كالشيء الواحد، وقد أشار إلى ذلك السيوطي في رده على من جعل العزم له حكم الهم في المؤاخذة بالذنب حيث يقول : "وخالف بعضهم وقال أنه من الهم المرفوع وربما تمسك بقول أهل اللغة هم بالشيء عزم عليه والتمسك بهذا غير سديد لأن اللغوي لا يتنزل إلى هذه الدقائق" [٥٧].

مع أنه يوجد في أشعار العرب ما يشهد على التفريق بين الهم والعزم ويدل على أنهما مرحلتان مختلفتان كقول كعب بن زهير بن أبي سلمى :

وكم فيهم من سيد متوسع ومن فاعل للخير إن هم أو عزم [٥٨]

ففرق بين الهم والعزم [٥٩].

---

٥٤ – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩ ص١٩٦.

٥٥ – الأزهري، تهذيب اللغة، ج٥ ص٢٤٨.

٥٦ – ابن منظور، لسان العرب، ج٨ ص١٠٤.

٥٧ – السيوطي، الأشباه والنظائر، ج١ ص٣٤.

٥٨ – ديوان كعب بن زهير، ج١ ص٥٦.

٥٩ – انظر : العسكري، الفروق اللغوية، ج١ ص٣٥٦-٣٥٧.

فعلى هذا نستطيع القول أن العرب كانت تستعمل لفظ الهم وتريد به العزم أحيانا وتستعمله وتريد به عين الهم.

وقد ورد لفظ الهم في القرآن الكريم في سبعة مواضع و يذكر الهم ويراد به العزم أحيانا.

والمواضع التي ذكر فيها لفظ الهم كما يلي :

الموضع الأول : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ آل عمران : ١٢٢.

هذه الآية جاءت في سياق ذكر غزوة أحد فذكر الله ماهمت به طائفتان من المسلمين من الانسحاب عن جيش المسلمين ولكن الله سبحانه قد عصمهما من ذلك وثبتهما.

يقول أبو السعود – رحمه الله – في تفسير ذلك الهم : "والظاهر أنها ما كانت إلا همة" [٦٠]. فلم يصل هذا الوارد إلى مرحلة العزم والقرينة التي تثبت هذا القول ولاية الله لهاتين الطائفتين يقول ابن عاشور – رحمه الله – عند قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ : "أي ناصرهما على ذلك الهم الشيطاني، الذي لو صار عزما لكان سبب شقائهما، فلعناية الله بهما برأهما الله من فعل ما همتا به" [٦١].

إذن الفشل ومفارقة جيش المسلمين من قبل هاتين الطائفتين إنما كان هما، ولو كان هنا عزما لما كان الله وليهما، لأن العزم على المعصية معصية [٦٢].

الموضع الثاني : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ المائدة : ١١ يذكر تعالى عباده المؤمنين إنعامه عليهم بكف أيدي الكفار عنهم، ورد كيدهم في نحورهم فالأعداء قد

---

٦٠ – أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٢ ص٧٩.

٦١ – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤ ص٧٠.

٦٢ – انظر : أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ج١ ص٣٥٧.

هموا بأمر، وقد تعددت الأقوال في تحديد هذا الأمر وملخص ما ذكر أن قريشا، أو بني النضير، أو قريظة، أو غورثا، هموا بقتل الرسول – صلى الله عليه وسلم –، أو المشركين هموا بقتل المسلمين، فكف الله أيديهم عما هموا به [٦٣].

وذكر الرازي – رحمه الله – وجها عاما لتفسير هذه الآية حيث يقول : "...أن المشركين في أول الأمر كانوا غالبين، والمسلمين كانوا مقهورين مغلوبين، ولقد كان المشركون أبدا يريدون إيقاع البلاء والقتل والنهب بالمسلمين، والله تعالى كان يمنعهم عن مطلوبهم إلى أن قوي الإسلام وعظمت شوكة المسلمين فقال تعالى : ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ ﴾ وهو المشركون ﴿ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ بالقتل والنهب والنفي فكف الله تعالى بلطفه ورحمته أيدي الكفار عنكم أيها المسلمون، ومثل هذا الإنعام العظيم يوجب عليكم أن تتقوا معاصيه ومخالفته" [٦٤].

والذي يترجح لنا أن الهم هنا يراد به العزم وذلك لأن الآية مسوقة للتذكير بنعمة أنعمها الله على المسلمين وهي أنه لما أراد الكفار أذيتهم كف الله ذلك الأذى، وإرادة الكفار أذية المسلمين لا تقف عند مرحلة الهم بل تتعداها إلى مرحلة العزم.

الموضع الثالث : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ يوسف : ٢٤.

الحديث هنا عن قصة مراودة امرأة العزيز ليوسف – عليه السلام – عن نفسه كما قال تعالى في سباق هذه الآية : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يوسف : ٢٣. وذكر الله لنا أحداثا فيها ومن جملة هذه الأحداث

---

٦٣ – انظر : الواحدي، أسباب النزول، ص٢٢٣.

٦٤ – الرازي، مفاتيح الغيب، ج١١ ص١٤٤.

ماذكره سبحانه في قوله : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ فجاء هنا ذكر همين :

الأول : الهم المسند إلى إمرأة العزيز "فالمقصود منه العزم بدليل المراودة و تغليق الأبواب وما قص الله سبحانه في شأنها" [٦٥]. فهذه قرينة تدل على نوع هذا الهم.

الثاني : الهم المسند إلى يوسف – عليه السلام – وهذه مسألة قد طال الحديث عنها بين العلماء، وإن كان من صلب عقيدتنا أن ندفع عن الأنبياء كل ما من شأنه أن يمس عصمتهم .ا.[٦٦]

الموضع الرابع : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ النساء : ١١٣.

جاءت هذه الآية في سياق ذكر المختانين أنفسهم ومحاولتهم زحزحة الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن الحق قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ النساء : ١٠٥ – ١٠٨. يقول ابن عطية – رحمه الله – "وقف الله تعالى على نبيه على مقدار عصمته له، وأنها بفضل من الله ورحمة وقوله تعالى : ﴿لَهَمَّت﴾ معناه : لجعلته همها وشغلها حتى تنفذه، وهذا يدل على أن الألفاظ عامة... وإنما المعنى : ولولا عصمة الله لك لكان في الناس من يشتغل بإضلالك" [٦٧]. فالآية عامة وليست خاصة في نازلة معينة.

---

٦٥ – انظر : الشنقيطي، أضواء البيان، ج٣ ص٧٠.

٦٦ – انظر في تحقيق هذه مسألة الهم المسند إلى يوسف – عليه السلام – البحر المحيط، ج٥ ص٢٩٥، والشنقيطي، أضواء البيان، ج٣ ص ٢٠٨.

٦٧ – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٢ ص١١٢.

ويقول محمد رشيد رضا – رحمه الله – في مناسبة هذه الآية لما قبلها : "وقد أراد تعالى بعد بيان تلك الأوامر والنواهي وتوجيهها إلى نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يبين فضله ونعمته عليه... وذلك أن الأشرار إذا توجهت إرادتهم وهممهم إلى التلبيس عن شخص ومخادعته ومحاولة صرفه عن الحق فلا بد له أن يشغل طائفة من وقته لمقاومتهم وكشف حيلهم وتمييز تلبيسهم ، وذلك يشغل المرء عن تقرير الحقائق وصرف وقت المقاومة إلى عمل آخر صالح نافع ; ولذلك تفضل الله على نبيه – صلى الله عليه وسلم – ورحمه بصرف كيد الأشرار عنه حتى بالهم بغشه وزحزحته عن صراط الله الذي أقامه عليه" [٦٨].

وابن عاشور لا يرى أن هناك هم حيث يقول : "وظاهر الآية أن هم طائفة من الذين يختانون أنفسهم بأن يضلوا الرسول غير واقع من أصله فضلا عن أن يضلوه بالفعل"[٦٩].

وسواء وقع هذا الهم من تلك الطائفة أو لم يقع –كما يدل عليه ظاهر الآية – فالمقصود هنا إستعمال القرآن الكريم للفظ الهم وأنه أراد به إما عين الهم أو العزم.

الموضع الخامس : ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ التوبة : ١٣.

هذه الآية يحث سبحانه المؤمنين على جهاد أعدائهم من المشركين الذين نقضوا العهد، وطعنوا في الدين، وظاهروا عليهم أعدائهم، وهموا بإخراج الرسول – صلى الله عليه وسلم – من مكة وذلك حين اجتماعهم في دار الندوة [٧٠].

واستعمال القرآن للفظ الهم في هذا النص يدل على أنه عزم وتصميم فتشاورهم في إخراج الرسول – صلى الله عليه وسلم – من مكة يدل على عزمهم.

---

٦٨ – رشيد رضا، المنار، ج٥ ص٣٢٨.

٦٩ – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٥ ص١٥٧.

٧٠ – انظر : الطبري، جامع البيان، ج١٠ ص٨٩، والبغوي، معالم التنزيل، ج٢ص٢٧٢.

الموضع السادس : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ التوبة : ٧٤.

سياق هذه الآية في ذكر المنافقين فالله تعالى أخبر بأنهم يحلفون به كذبا على كلمة كفر تكلموا بها أنهم لم يقولوها، ثم ذكر الله همهم بشيء لم يمكنهم منه سبحانه ولا ندري ما الذي هموا به وقد ذكر المفسرون أقوالا فيما هموا به إلا أنها ليست مبنية على نص ثابت يقطع بصحتها [٧١]. وقد يكون همهم مجرد هم أو أنه تعدى إلى مرحلة العزم.

الموضع السابع : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ غافر : ٥.

يذكر سبحانه وتعالى ما حصل من قوم نوح والأمم من بعدهم من تكذيب لرسلهم الذين جاءوا بالحق فعزموا على أخذهم، وفسر ابن جرير – رحمه الله – الأخذ بالقتل [٧٢]. وبعض المفسرين فسر الأخذ بالأسر والتعذيب [٧٣]. وكلا التفسيرين صحيح فالعرب تقول للقتيل : أخيذ ، وللأسير كذلك [٧٤].

والمراد بالهم هنا إنما هو العزم فالأخذ سواء فسر بالقتل أو الأسر أو التعذيب فكلها قرائن تدل على أن هذا الهم يراد به العزم.

وفي الجملة فإن القرآن الكريم استعمل الهم وأراد به العزم في أكثر من موضع كما كانت العرب تستعمل ذلك والذي يدلنا على المقصود من الهم هل هو عين الهم أو العزم؟ القرائن والملابسات المتعلقة بالنص الذي ورد فيه اللفظ.والله أعلم.

---

٧١ – انظر : الطبري، جامع البيان، ج١٠ ص١٨٦، والآلوسي، روح المعاني، ج١٠ص١٣٩، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٤ ص٨٤.

٧٢ – ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج٢٠ ص٢٨١.

٧٣ – انظر : ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٤ص٥٤٧، والبغوي، معالم التنزيل، ج٤ ص١٣٧.

٧٤ – انظر : الزمخشري، الفائق، ج٢ ص٤٤٤، والبغدادي، خزانة الأدب، ج ص.

خامسا : الإرادة

يقول ابن فارس – رحمه الله – : "الراء والواو والدال معظم بابه يدل على مجيء وذهاب من انطلاق في جهة واحدة تقول : راودته على أن يفعل كذا، إذا أردته على فعله" [٧٥]. وعندما نعمل هذه الدلالة في كلمة الإرادة نجدها موافقة للمعنى حيث أن الإرادة باعث نفسي يذهب ويجيء بحسب قوة الإرادة وضعفها. ويقول المناوي : "العزيمة في اللغة : عبارة عن الإرادة المؤكدة" [٧٦]. فجعل العزم والإرادة بمعنى واحد.

ويقول الجرجاني في تعريف الإرادة أنها : "صفة توجب للحي حالا يقع منه الفعل على وجه دون وجه" [٧٧].

وأما الراغب الاصفهاني فيقول : "والإرادة في الأصل : قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل وجعل اسما لنزوع النفس إلى الشئ مع الحكم فيه بأنه ينبغى أن يفعل أو لا يفعل ثم يستعمل مرة في المبدإ وهو نزوع النفس إلى الشئ وتارة في المنتهى وهو الحكم فيه بأنه ينبغى أن يفعل أو لا يفعل، فإذا استعمل في الله فإنه يراد به المنتهى دون المبدإ" [٧٨].

وجاء لفظ الإرادة ومشتقاته في القرآن الكريم فيما يربو عن مائة موضع منها ما يكون متعلقا بإرادة الله، ومنها ما يكون متعلقا بإرادة البشر ومنها ما يكون متعلقا بإرادة الشيطان، ومنها ما يكون متعلقا بإرادة الجماد، والذي يعنينا هنا الإرادة المتعلقة بالنفس البشرية، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المائدة : ٢٩. يقول ابن عاشور – رحمه الله – : "وأطلقت الإرادة على العزم كما في قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ ﴾

---

٧٥ – ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٢ ص٣٧٩.

٧٦ – المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص٥١٣.

٧٧ – الجرجاني، التعريفات، ص١٨.

٧٨ – الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٣٧١.

" [٧٩]. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ التوبة : ٤٦. وهذه الآية في معرض ذم للمنافقين أي ولو أرادوا الخروج بنياتهم لنظروا في ذلك واستعدوا له قبل كونه، والتثبيط التكسيل وكسر العزم [٨٠]. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : "﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الحج : ٢٥. يقول الشنقيطي – رحمه الله – : "ويحتمل أن يكون معنى الإرادة في قوله : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ ﴾ العزم المصمم على ارتكاب الذنب فيه، والعزم المصمم على الذنب ذنب يعاقب عليه في جميع بقاع الله مكة وغيرها" [٨١].

والمقصود بيان أن الإرادة في القرآن الكريم إذا أسندت للإنسان فالمراد بها العزم.

---

٧٩ – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤ ص١٧٩.

٨٠ – انظر : ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٣ ص٢٦١.

٨١ – الشنقيطي، أضواء البيان، ج٤ ص٢٩٥.

الخاتمة

توصل الباحثان في هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

- أن لفظة العزم في اللغة لها عدة أوجه منها : القطع والحزم والصبر والجدّ، و هذه المعاني لا تخرج عن معنى الإصرار على الأمر الذي هو معنى العزم، فقطع الأمر، والصبر عليه، والحزم في تنفيذه، وتحقيقه، والجد فيه هي معاني للعزم.
- إن العزم اتجاه نفسي ورغبة قلبية من شأنها الأخذ بالإنسان المسلم إلى تحقيق ما يصبو إليه من أفعال الخير رغم المشاق التي تعترضه.
- إن الآيات المكية التي وردت فيها لفظة العزم تدور حول الصبر والجدّ، لأنه هو المطلوب فعله من النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن المؤمنين في ذلك العهد، فهذه الفترة كانت كلها مخصصة لبذر العقيدة الصحيحة فى النفوس، وتهيئة هذه النفوس لمقتضيات هذه العقيدة.
- جاء ذكر العزم في الآيات المدنية أي العهد الذي شهد استقراراً للمجتمع الإسلامي في المدينة، حيث أرسيت قواعده، وشيد بنيانه، وأنزلت شرائع الإسلام، وقامت الدولة الإسلامية فنلاحظ أن استعمال مصطلح العزم في العهد المدني جاء في سياق تقرير أمور تشريعية.
- استعمل القرآن الكريم ألفاظا كانت بمعنى العزم ومنها : القوة، الصبر، الإصرار الهم، الإرادة.
- يوصي الباحثان : بتوجه الدراسات القرآنية إلى دراسة المصطلح القرآني فإن وراءه معاني يجب على الباحثين الوقوف عندها واستخراج كنوزها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت : ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ط١، (إشراف : علي حسن عبد الحميد الحلبي)، دار ابن الجوزي، الدمام ،١٤٢١هـ.
- الأزهري، أبومنصور محمد بن أحمد الهروي (ت : ٣٧٠)، تهذيب اللغة، ط، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت : ٥٠٤هـ)، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ط٣، (تحقيق : صفوان عدنان داوودي)، دار القلم، دمشق، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الألباني، محمد ناصر (ت : ١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الألباني، محمد ناصر (ت : ١٤٢٠هـ)، صحيح أبي داوود، ط١، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الألباني، محمد ناصر (ت : ١٤٢٠هـ)، صحيح الترغيب والترهيب، ط٥ ، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الآلوسي، شهاب الدين أبو الثناء محمود البغدادي (ت :١٢٧٠ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.

- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت : ٢٥٦هـ)، ط٢، الجامع الصحيح، دار السلام، الرياض، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت : ١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط١، (تحقيق : عبد السلام هارون)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- البغوي، أبومحمد الحسين بن مسعود البغوي (ت : ٥١٠هـ)، معالم التنزيل، ط٢، (تحقيق : سامي بن محمد السلامة)، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت : ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط١، (تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت : ٤٥٨هـ)، دلائل النبوة، ط١، (تحقيق : د.عبد المعطي قلعجي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت : ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، ط١، (تحقيق : عادل عبد الموجود، وعلي محمد عوض)، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
- الجرجاني، علي بن محمد (ت : ٨١٦هـ)، التعريفات، ط١، (تحقيق : إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٩٥م.
- الدامغاني، أبي عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني (ت : ٤٧٨هـ)، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ.

- أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت : ٢٧٥هـ)، سنن أبي داوود، ط ١، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين الأزدي (ت : ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، ط١، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٠م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت : ١٣٩٥)، معجم مقاييس اللغة، (تحقيق : عبد السلام محمد هارون)، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي (ت : ٦٣٠هـ)، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.
- قطامي، يوسف، علم النفس العام، ط١، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٢م.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط١٢، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- القوجوي، محيي الدين محمد بن مصلح الدين شيخ زادة (ت : ٩٥١هـ)، حاشية محيي الدين شيخ زادة، ط١، (تحقيق : محمد عبد القادر شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت : ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط١، (إشراف : بكر أبو زيد)، دار عالم الفوائد، الرياض، ١٤٢٥هـ.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت : ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت : ٩١١هـ)، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، ط١، (تحقيق : محمد محمد تامر، وحافظ عاشور) دار السلام، القاهرة، ١٩٩٨م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت : ١٣٧٦هـ)، المواهب الربانية من الآيات القرآنية، ط١، رمادي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت :٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت : ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، (تحقيق : طارق عوض الله، و عبد المحسن الحسيني) ط١، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١ (تحقيق : أحمد محمد شاكر)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت :١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، (تحقيق : عبد الستار أحمد فراج) وزارة الإرشاد والإنباء، الكويت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- الزمخشري، محمود بن عمر جار الله (ت : ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨ - ١٩٩٨م.
- الزمخشري، محمود بن عمر جار الله (ت : ٥٣٨هـ)، الفائق في غريب الحديث، ط٢، (تحقيق : علي محمد البجاوي — محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٨م.

- الرازي، فخر الدين محمد بن عبدالله (ت : ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، ط١، (تحقيق : إبراهيم شمس معد، وأحمد شمس معد)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- رضا، محمد رشيد (ت : ١٩٣٥م)، تفسير المنار، ط٢، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت : ١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، (تحقيق : د. محمد رضوان الداية)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠هـ -١٩٩١م.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة (ت : ١٤٢٥هـ)، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط١، دار القلم، دمشق، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت : ١٩٧٣)، التحرير والتنوير، ط١، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.
- عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ط١، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٧م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (ت : بعد ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، ط١، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٣٤م.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت : ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، (تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- كعب، كعب بن زهير بن أبي سلمى (ت : ٢٦هـ)، ديوان كعب بن زهير، ط١، (تحقيق : حنا ناصر الحتي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (ت : ١٠٩٤هـ)، الكليات، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.
- النسائي، أحمد بن شعيب (ت : ٣٠٣هـ)، المجتبى من السنن، ط١، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب النزول، ط١، (تحقيق : ماهر ياسين الفحل)، دار الميمان، ١٤٢٦هـ.